

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

يحاول بعض المشتغلين بالسياسة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، وبعض الكتاب فيها ، اقتداء ببعض المستشرقين : أن يضعوا أمام الرأي العام الإسلامي في حاضره - وخاصة أمام الشباب - أن الإسلام دين علاقة خاصة بين الله والإنسان ، وليس دين دولة .. وليس ديناً لسياسة مجتمع .. وليس منهج حكومة وقيادة سياسة في مباشرة توجيه الأفراد فيه ، وفي علاقة المجتمع بمجتمع آخر عداه .

لكن القرآن عندما يتحدث عن خلق الإنسان ، وخلق ما يعينه على المعيشة في الحياة الدنيا من حيوان ونبات ، يتحدث عن خاصة « الزوجية » في الذكورة والأنوثة في الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، فيجعل لها هدفاً مشتركاً بين الأنواع الثلاثة ، وهو الكثرة والزيادة العددية فيها . بينما يضيف في جانب الإنسان وحده إلى هذا الهدف المشترك : هدفاً آخر خاصاً به ، هو هدف قيام المجتمع البشري وتحقيق أغراضه . فيقول في شأن هذا الهدف الخاص بالإنسان : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١) فالزوجية من الذكورة والأنوثة في خلق الإنسان استهدفت بصفة خاصة الاستقرار بين الأفراد ، ومودة بعضهم لبعض ، ورحمة القوى منهم للضعيف فيهم . ومعنى ذلك : أنه هناك وراء الكثرة العددية من الزوجية في الإنسان : معنى اجتماعياً آخر لا يوجد إلا في النوع الإنساني

---

(١) الروم : ٢١ .

وحده ، وهو معنى يجب أن يتحقق . وإلا عاد النوع الإنساني شبيهاً بالحيوان والنبات من كل وجه ، غير مميز عنهما .

ففى حديث القرآن هنا ما يوجه إلى المجتمع وقيامه . والمجتمع الإنساني إذا كان هدفاً لخلق الله الإنسان ، فإن رسالته جل شأنه إذا اتجهت إلى الفرد فى صياغته الإنسانية عن طريق تكليفه بأداء العبادات ، فلكى تعده إلى الملاءمة الاجتماعية التى تحقق قيام المجتمع ، وبالتالي تحقق السكنى ، والمودة ، والرحمة بين الأفراد .

أما حديث القرآن عن زيادة الكم فى الأنواع الثلاثة عن طريق الزوجية أو التقابل فى الخلق بين الذكورة والأنوثة ، فهو يذكر هذه الغاية المشتركة فى الإنسان والحيوان فى قول الله تعالى : « فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً ، يذروكم فيه ، ليس كمثله شئ ، وهو السميع البصير » (٢) ..

ويذكرها فى الإنسان والنبات فى قوله : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » (٣) ..

ويصلها فى النبات فى قوله : « الذى جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ، ان فى ذلك لآيات لأولى النهى » (٤) ..

كما يفصل هذه الغاية الكمية فى دائرة الإنسان ، فيما جاء فى سورة النحل : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أقبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون » (٥) ..

والقرآن بدعوته الإنسان إلى تحقيق المجتمع الإنساني فإنه يدعو إلى أن يكون حضارياً ، لا يقف بمجهوده ، وسعيه عند حد الكم وحده . وإنما يتجاوزه إلى النوع ، والنوع المنشود هو ما حدد مظهره هنا : من السكنى .. والمودة .. والرحمة .

١٣١ يس : ٣٦  
١٥ النحل : ٧٢

١١ الشورى : ١١  
٤٤ طه : ٥٣ ، ٥٤

وهكذا : الإنسان في نظر القرآن حضارى . وحضارته في الدرجة الأولى حضارة إنسانية . قد تصاحبها حضارة له مادية أخرى إذا فقد حضارته الإنسانية التي تقوم على القيم الإنسانية الرفيعة ، كالأستقرار ، والمودة ، والرحمة ، فإنه يفقد في الواقع الخاصة التي تميز بها عن الحيوان والنبات .

فالإنسان حضارى . والمجتمع صاحب الروابط الإنسانية هو مجتمع حضارة ، والدعوة إليه دعوة إلى الحضارة الإنسانية .

\* \* \*

وكتاب : « القرآن - المجتمع » .. يقدم للقارئ من القرآن الكريم : الظواهر الاجتماعية العامة التي تصاحب أى مجتمع .. وطابع المجتمع الإسلامى الذى يحقق الروابط الإنسانية وبالتالي يحقق المجتمع الحضارى .. وقيادته التي تتجاوز في سياستها مرحلة المراهقة .. وعلاقته بالمجتمع اللاحضارى ، أو المجتمع الجاهلى أو المادى ، ليكون على بينة من الجوانب الاجتماعية العديدة .

وما يقدمه هذا الكتاب للقارئ من القرآن الكريم ، خاصاً بالمجتمع البشرى ، يطرح أمامه سؤالين :

● السؤال الأول : هل ما يذكره القرآن هنا في شأن المجتمع مستفاداً من واقع الحياة العربية على عهد الرسول عليه السلام ، أم أنه منبثق من خصائص الطبيعة البشرية ؟ .

● السؤال الثانى : إذا كان ما يذكره القرآن في شأن المجتمع هو تعبيراً عن خصائص الطبيعة البشرية ، وبالتالي كان وحياً من عند الله - وهو كذلك - لماذا يغمض رجال السياسة وبعض المفكرين من المسلمين وغيرهم ، عيونهم عن أهمية ما جاء به القرآن للإنسان فرداً أو مجتمعاً ؟ . هل ذلك يرجع إلى المادية التي أوشكت أن تسد جميع النوافذ على روحية الإنسان ، وعلى دعوة الإسلام ؟

\* \* \*

إن هذا الكتاب يأمل أن يقدم للشباب ما يساعده على أخذ نفسه بمنهج إسلامي يقوده إلى سكنى نفسه في صراعها الداخلي ، وإلى مودتها مع الآخرين في مجتمعهم ، وإلى أن تسود بينهم الرحمة . فوضع أى فرد لا يدوم في هذه الحياة . وما يقدمه اليوم للآخرين قد يقدمه بعضهم إليه في غده عند الحاجة إليه . والله ولي التوفيق .

مصر الجديدة في ١٤ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٦

١٤ من مايو سنة ١٩٧٦

د. محمد البهي

